شعرية المفارقة في القصة القصيرة الجزائرية

– كتابات "أحمد رضا حوحو" أنموذجا–

Paradoxical poetry in the Algerian short story
The writings of "Ahmed Reda Houhou" as a model

نورة قطوش[1]

جامعة المسيلة

noura.guettouche@univ-msila.dz

تاريخ الوصول: 2020/01/31 القبول : 2021/02/07 النشر علي الخط: 2021/06/15
Received: 31/01/2020 Accepted : 07/02/2021 Published online : 15/06/2021

ملخص:

تقوم شعرية المفارقة على التضاد بين المعنى الظاهر، والمعنى الباطني،وكلما اشتد التضاد بينهما، ازدادت حدة المفارقة في النص، وفي هذه الورقة البحثية أحاول معرفة أنواع المفارقات في القصة القصيرة الجزائرية،والآليات المختلفة التي وظفها الكاتب الجزائري في مفارقاته، وقد شملت المدونة المجموعتان القصصيتان:"صاحبة الوحي وقصص أخرى"،و"نماذج بشرية" للكاتب الشهيد أحمد رضا حوحو، حيث وقع الاختيار على قصص معينة من كل مجموعة .وهي قصص مستمدة من الواقع ، وغيرها من القصص القصيرة التي عالج فيها الكاتب الجزائري ،قضايا مجتمعه،كالفقر ،والجهل ،والعادات والتقاليد،وقضية المرأة وما تعانيه من تهميش المجتمع،فإلى أي مدى وُفق الكاتب في توظيفه لأسلوب المفارقة في قصصه.وما هي أهم الآليات المعتمدة في ذلك.

الكلمات المفتاحية: مفارقة، سخرية، ، تهكم، قصة قصيرة.

Abstract :

The poetry of irony is based on the contrast between the apparent meaning and the inner meaning, and the more the contrast between them, the more intense the irony in the text. In this paper, I try to know the types of paradoxes in the Algerian short story, and the different mechanisms that the Algerian writer employed in his paradoxes. : "The author of the revelation and other stories", and "Human models" by the martyr writer Ahmed Reda Houhou, where specific stories were chosen from each group , which are stories Derived from reality, and other short stories in which the writer dealt with the penalty Irrigation, issues of his society, such as poverty, ignorance, customs and traditions, the issue of women and its marginalization in society, to what extent was the writer agreed to use the paradoxical style in his stories, and what are the most important mechanisms adopted in that.

Key words: irony, irony, sarcasm, short story .

[1]– المؤلف المرسل: نورة قطوش البريد الإلكتروني: **noura.guettouche@univ-msila.dz**

مقدّمة:

تعدّ المفارقة من المفاهيم المعرفية التي يتم توظيفها في حقول معرفية مختلفة،كعلم الاجتماع والفلسفة. "ولمّا كان حسّ المفارقة أصيلا في الإنسان ،فإنه لا يخلو عصر من العصور،أو أدب من الآداب –ولو بدرجات متفاوتة – من التعبير بالمفارقة" . وتتبدى المفارقة في مظاهر شتى تتصل بالوجود والمجتمع ومن ثمة تنعكس صورها في الأدب.

تقوم بنية المفارقة على اجتماع عناصر ثنائية لا يُتوقّع لها أن تجتمع في سياق واحد ،أو موقف واحد،لذلك تتصل المفارقة في كثير من صورها بالتهكم، والسخرية،والدهشة. وبذلك يمكن القول أنّ المفارقة تكون برفض للمعنى الحرفي للكلام " وهذا الرفض الحرفي للكلام يكون لصالح المعنى الآخر الذي لم يُعبّر عنه" [1]

وترتبط المفارقة ارتباطا وثيقا بالحذاقة، والظرف،والذكاء "كما أنها عملية ذهنية أقرب إلى العقل منها إلى الحواس،وبالتالي فإنها تنتمي إلى الذهنية الواعية،وليس إلى الغنائية الحسية"[2] .

وقد تم توظيف المفارقة في القصة القصيرة الجزائرية بطرق مختلفة،خاصة عند الأديب "أحمد رضا حوحو" الذي جمع في قصصه بين الهزل والجدّ،وعالج في قصصه قضايا اجتماعية عدّة،بأسلوب ساخر.

والمفارقة لا تكون إلا عندما يكون أثرها مزيجا من الألم والتسلية،ولا تترك القارئ إلا بعدما تكون قد رسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، تصحبها السخرية من الضحية ،وهذا ما يظهر جليا في نماذج من قصص"أحمد رضا حوحو".

أولا:. مفهوم المفارقة:

المفارقة أسلوب تعبيري يهدف إلى إيصال المعنى المراد بطريقة إيحائية وشفافة، "تجعل القارئ يرفض النّص بمعناه المباشر ويستنبطه لاستخراج معان متعددة دون أن يمتلك القدرة على ترجيح أحدها على غيره

[1] – نجلاء حسن الوقاد:بناء المفارقة في فن المقامات،عند بديع الزمان الهمذاني والحريري–دراسة أسلوبية – مكتبة الآداب القاهرة،د ط،2006،ص05.

[2] – خالد سليمان :المفارقة والأدب –دراسات في النظرية والتطبيق –، دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان،د.ط،1951،ص08.

مع ما يمكن أن تتصف به من تناظر، أو تباين ،أو غموض،ومع ما تثيره من مشاعر السخرية عند منشئها ومتلقيها على حد سواء"[1]

وربما كان من المهم أن نشير إلى أنّ فن المفارقة وهو"فن بلاغي بكل تأكيد لم يعرفه بلغاء العرب على هذا النحو من التحديد الحديث له،وإن كانوا قد أحسوا بخصوصية الكلام، الذي يراوغ ويهرب من تحديد المعنى،ويقول شيئا ويعني شيئا آخر"[2]

إنّ خلو النقد العربي القديم من مصطلح "مفارقة"ربما يعود إلى"وجود مصطلحات في النقد العربي كانت تؤدي معنى المفارقة في الثقافة اليونانية الأمر الذي لم يجدوا معه حاجة لترجمة المصطلح اليوناني"[3]

ويؤكد "هيثم محمد جديتاوي" على الفكرة نفسها ،وذلك في معرض حديثه عن المعنى اللغوي للمفارقة ،حيث يقول:"أما عن استعمالها مصطلحا أدبيا أو بلاغيا أو نقديا ،فقد تتبعناها في المصادر المهمة(...) فلم نجدها واردة فيها،وعدم شيوع هذه اللفظة لغة ومصطلحا أدبيا في التراث العربي لا يعني عدم وجود ألفاظ أخرى وشيوعها في الاستعمال اللفظي والأدبي كانت تقوم مقامها بشكل أو بآخر"[4] .

ومن الفنون البلاغية العربية التي اقتربت من مفهوم المفارقة نذكر التورية،التهكم والسخرية،تجاهل العارف،مخافة الظاهر،تأكيد المدح بما يشبه الذم والعكس،والهزل الذي يراد به الجد.

فالمفارقة إذن تتحدث بشكل واضح عن معنيين:أحدهما ظاهر سطحي حرفي، والثاني خفي مجازي،والمعنى الثاني هو المقصود."فالمفارقة تصدر أساسا عن ذهن متوقد،ووعي شديد للذات بما حولها"[5].

إذا كان تحديد تعريف جامع مانع " للمفارقة " أمر صعب المنال ،فإنّ تحديد أنواعها أكثر تعقيدا،لاعتبارات عدّة لعلّ أبرزها تعدد المصطلح واختلافه من باحث لآخر ،ومن التقسيمات التي وجدناها موضوعية ويمكن الاستئناس بها في بحثنا هذا نذكر تقسيم" نعمان عبد السميع متولي" والذي يقول فيه:" المفارقة نوعان: مفارقة لفظية،ومفارقة الموقف أو السياق،فالمفارقة اللفظية يتعمدها الأديب

---

[1] – هيثم محمد جديتاوي:المفارقة في شعر أبي العلاء المعري(دراسة تحليلية في البنية والمغزى)،مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، دار اليازوري ،عمان ،الأردن،2012،ص27.

[2] – نبيلة إبراهيم:(المفارقة) ،فصول ،العددان4/3،سبتمبر،، 1987 ،المجلد 07،ص140.

[3] – هيثم محمد جديتاوي: المفارقة في شعر أبي العلاء المعري(دراسة تحليلية في البنية والمغزى)،ص33.

[4] – المرجع السابق، ص18.

[5] – نبيلة إبراهيم: المرجع السابق، ص ن

ويخطط لها عبر التضاد بين المظهر والمخبر،أما النوع الثاني من المفارقة فيعتمد على حسّ الشاعر الذي يرى به الأشياء والأحداث من حوله،وتصويرها بمنظور المفارقة ويترك للقارئ تحليلها واستنباط أبعادها الفلسفية،والشعورية وكشف خيوط تعارضها"[1].

إذن ما يمكن قوله باختصار هو أن للمفارقة نوعان: المفارقة اللفظية وهي التي يكون فيها المعنى الظاهر واضحا، والمفارقة السياقية أو مفارقة الموقف،وهي التي تعتمد على القارئ في كشف واستنباط التعارض بين المعنى الظاهر والخفي، وفي المفارقة اللفظية يكون المعنيان الظاهر والباطن في مواجهة مباشرة،على خلاف المفارقة السياقية التي تتطلب خفاء وعمقا في البحث عن طرفي المفارقة داخل بنية النّص.

ثانيا: القصة القصيرة الجزائرية(النشأة والتطور):

نشأة القصة القصيرة الجزائرية متأخرة عن القصة في المشرق العربي، "لظروف تتصل بالثقافة وبالأدباء أنفسهم، وبثقافتهم الخاصة، وبتكوينهم الفكري الذي ارتبط بالتراث ارتباطا كليا،منذ البدايات الأولى للنهضة الأدبية في الجزائر،وارتباط الأدب بالحركة الإصلاحية"[2].

و إذا كان الشعر في الجزائر قد وجد الطريق ممهدا لوجود دواوين منه،وتقاليد عريقة للشعر العربي،فإنّ القصة لم تجد ذلك،"والدارس للقصة القصيرة الجزائرية ،يجد أنّها ظهرت في شكلها البدائي الأول بظهور الصحف العربية، في شكل المقال القصصي"[3] الذي تميز لدى ظهوره بكونه مزيجا من عدة أنواع أدبية،كالمقامة،والرواية،والمقالة الأدبية،وبأنّه تأثّر بشكل مباشر بالمقال الديني الذي عرف ازدهارا كبيرا على يد رجال الحركة الإصلاحية مثل "ابن باديس"،و"البشير الإبراهيمي"، و"الطيب العقبي"،وغيرهم.

فالشكل الذي جاء عليه المقال القصصي، لا يعدو أن يكون صورة بدائية للقصة القصيرة، "وظهر عامل الاحتكاك بثقافة المشرق،وعلى الخصوص الإبداع القصصي الفني،الذي شهد أعلام القصة القصيرة،أمثال

[1] -- نعمان عبد السميع متولي: المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم –دراسة تطبيقية–دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع،ط1،2014،ص15-19.

[2] – عبد الله ركيبي:تطور النثر الجزائري الحديث،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،ص 191

[3] عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،11 .

محمود تيمور،،عيسى عبيد،ومحمد الطاهر لاشين،والمويلحي،والمنفلوطي،وغيرهم،وكان لهذا التأثير والاحتكاك آثاره الملموسة في كتابات المبدعين الجزائريين، على اختلاف قدراتهم التعبيرية،والفنية"[1]

ويكون" أحمد رضا حوحو"في مؤلفه" مع حمار الحكيم"صورة حية كخطوة نحو إرساء معالم الأدب القصصي في الجزائر،وكان"أبو القاسم سعد الله"في قصته"السعفة الخضراء"وغيره من جيل الرواد الذين أعطوا شبه انطلاقة حقيقية للقصة الجزائرية،لولا طغيان سمة المقال القصصي على كثير من إبداعاتهم ،والذي يحمل في الأساس بعض خصائص القصة القصيرة.

اختلفت آراء الدارسين حول أول محاولة قصصية ظهرت في الأدب الجزائري الحديث،حيث ذهب "عبد الملك مرتاض" إلى أنّ قصة المساواة" فرنسوا والرشيد"التي نشرت في العدد الثاني في جريدة "الجزائر" سنة 1925 هي أول قصة جزائرية وقد أكّد ذلك بقوله:"إنّ أول محاولة قصصية عرفها النثر الحديث في الجزائر،تلك القصة المثيرة التي نشرت في جريدة الجزائر"[2] ،وقد عدّ صالح خرفي "محمد بن العابد الجيلالي"رائدا للقصة القصيرة الجزائرية "[3]

وما يمكن قوله هو أن قصة"فرنسوا والرشيد"لمحمد السعيد الزاهري"، تعدّ أول القصص الجزائرية ظهورا،"ويمكننا أيضا أن نعده أول من بذر بذرة القصة الجزائرية الحديثة،وذلك بتأليفه مجموعة من القصص تمحورت كلها حول موضوع الإصلاح الديني وقضاياه، وهو أول كاتب جزائري تطبع له مجموعة قصصية وكان عنوانها"الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير"وذلك عام 1928[4] .

إذا كانت بدايات القصة الجزائرية قد ظهرت في شكل مقال قصصي، فإنها لم تأخذ شكلها القريب من الناحية الفنية،إلا في الأربعينيات،ومن أهم روادها: محمد السعيد ألزاهري، عبد المجيد الشافعي،ومحمد العابد الجيلالي،وأحمد رضا حوحو،وكان الطابع الاجتماعي يغلب على نتاج هؤلاء،وخاصة الفقر،لأنه كان يرسم ظلاله في قصصهم القصيرة،حتى أنه جاء في عناوين عدة منها: " الفقراء" لأحمد رضا حوحو،و" من تاريخ فقرائنا " لأحمد بن عاشور.

---

[1]- حاج محجوب عرايبي:دراسات في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة،منشورات إبداع،ط 1،1991،ص34.

[2]-عبد الملك مرتا ض:فنون النثر الأدبي في الجزائر(1931.1959)،ط1،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1983،ص62.

[3]- صالح خرفي: صفحات من الجزائر،ط1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1972 ،ص211.

[4]-شريبط أحمد شريبط:تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة،دار القصبة للنشر2009،ص66.

. وبعد سنة 1945،التي شهدت الجزائر خلالها مجازر08 ماي التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي،في حق الشعب الجزائري،في كل من ولاية قالمة، وسطيف،وخراطة، والتي ذهب ضحيتها أثر من خمسة وأربعين ألفا من الشهداء ،وأمام هذه المجازر لم يعد الأديب الجزائري يقف عند تصوير الفقر،والوضع الاجتماعي فقط،وإنما أصبحت الثورة تفرض نفسها في كتاباته،ولذا كانت الشخصية في القصة الجزائرية،تعكس إرادة الإنسان الثائر، المتطلع نحو الحرية والاستقلال.

ومن رواد القصة القصيرة أحمد رضا حوحو،إذ قدم أكثر من مضمون فكري،فقد كان ثائرا اجتماعيا قبل كل شيء،وله مجموعة قصصية "صاحبة الوحي وقصص أخرى.نشرت عام1954،و مجموعة "نماذج بشرية" نشرت عام1955. ومن مؤلفي القصة القصيرة في الجزائر "زهور ونيسي" التي جعلت للمرأة حيزا كبيرا في كتاباتها،وقد صدر لها مجموعتان" الرصيف النائم"و" على الشاطئ الآخر"،"وقصصها مستوحاة من الثورة الجزائرية،وتعبر عن ثورة البناء ا لاشتراكي بعد الاستقلال "[1].

وبعد الاستقلال صدرت مجموعات قصصية عدة، منها مجموعتان "لمحمد الصديق"هما" عميروش وقصص أخرى" و"من قلب اللهيب"سنة1964،ومجموعة" دقت الساعة" للباهي فضلاء سنة1967،و" بحيرة الزيتون"لأبي العيد دودو" سنة 1966،و"نفوس ثائرة" لعبد الله ركيبي، و"طعنات" و" دخان من قلبي" للطاهر وطار.

كما ظهرت المجموعة القصصية "ظلال جزائرية" و" الأشعة السبعة""لعبد الحميد بن هدوقة"، بالإضافة لأسماء أدباء جزائريين،نشروا قصصا متفرقة لم تطبع في شكل مجموعة،ومن هؤلاء"حنفي بن عيسى" و"صلاح دراجي"و"أبو القاسم سعد الله" وغيرهم.

بعد ذلك أخذت القصة القصيرة الجزائرية " تضع نفسها في الإطار الواقعي وتستخدم الأسلوب الفني المتكامل"[2]

وفي السبعينات ظهرت أسماء جديدة لها الإرادة والطموح، وتمتلك ثروة ثقافية تمكنها من العطاء والإبداع ،"ومن ناحية اللغة أخذت القصة القصيرة الجزائرية في الفترة الأخيرة تلجأ إلى الرمز حينا،وإلى أسلوب المقطع أحيانا"[1].

[1]- أحمد دوغان :في الأدب الجزائري الحديث منشورات اتحاد الكتاب العرب1996،ص167.

[2]- المرجع نفسه،ص168

ومن الأسماء التي ظهرت في هذه الفترة: "واسيني الأعرج"،"عمار بلحسن"،"محمد أمين الزاوي"،"مرزاق بقطاش"، "عمر بن قينة"،وغيرهم.

فالقصة القصيرة الجزائرية في تطور مستمر، لأنّ الأوضاع المزرية التي خلفها الاستعمار،والتضحيات التي قدمها الثوار الجزائريون،تمنح القاص أو الروائي منهلا خصبا. وبذلك استطاعت القصة القصيرة أن تصور لنا كثيرا من أبعاد الواقع الاجتماعي في الجزائر.

ثالثا:آليات المفارقة في قصص " أحمد رضا حوحو":

إذا كان المعنيان الظاهر والباطن،في المفارقة اللفظية يكونان في مواجهة مباشرة ،فإنهما في المفارقة السياقية يتطلبان عمقا في البحث عن طرفي المفارقة في العمل الأدبي.حيث تتجاوز المفارقة السياقية أو مفارقة الموقف حدود مراوغة اللفظ،لتشمل الموقف برمته،فهي تمتلك القدرة على استيعاب كل ما يقع . وعليه سيتم التركيز على المفارقة السياقية في نماذج قصصية لأحمد رضا حوحو،ومن أهم الآليات التي اعتمدها الكاتب .في مفارقاته: السخرية،والتصوير الكاريكاتوري.

1. السخرية :

السخرية فن له خصائصه وطبيعته، إلّا أنّه لا يخرج عن كونه هجاء، والسخرية تقوم أساس الانتقاء للنقائص الفردية والجماعية، والكاتب يرى في السخرية سلاحا حادا يستعمله من أجل الحصول على حقوقه، وقد يكون الأسلوب الساخر انتقاما وثورة من الكاتب على وضع معين في المجتمع.

تعدّ السخرية من الأساليب الفنية ، التي عادة ما يلجأ إليها الكاتب لمعالجة وضع اجتماعي معين،والتعبير عن رأيه بطريقة غير مباشرة، وبالتالي يمكن القول أن الهدف منها هو تقديم النقد في جو من الفكاهة والإمتاع.وهذا ما يؤكده "عبد الحليم حفني "بقوله:" السخرية أسلوب أو سلاح عدائي مهما كانت دوافعه ،..ويتميز عن غيره من أساليب العداء بأنه مصنوع بروح الفكاهة وأسلوبه"[2] .وبالتالي يمكن القول أنّ السخرية في كثير من الأحيان قد تحمل طابع العدائية.

[1]- المرجع نفسه،ص168

[2]- عبد الحليم حفني:أسلوب السخرية في القرآن الكريم،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987،ص15.

و"إذا كانت السخرية هجوما متعمدا على شخص بهدف سلبه كل أسلحته،وتعريته من كل ما يتخفى فيه ويتحصن وراءه" [1] ،فإن سخرية المفارقة لا تعني الهجوم كما تفعل السخرية المجردة،كما أنها لا تتعمد تعرية الشخص المهاجم من ادعاءاته،وأسلحته بهدف كشف حقيقة داخله،وإنّما "يظل صاحب المفارقة على خلاف ذلك ،شريكا كاملا للضحية في مأساتها ومحنتها"[2] .

وسخرية المفارقة،ليس هدفها الابتسامة المريحة الممتعة،إنما هدفها انتقاد الوضع الاجتماعي القائم، والحث على تغييره.

ولمعرفة الآليات التي وظف بواسطتها الكاتب المفارقة في قصصه القصيرة ، وقع الاختيار على مجموعة من القصص القصيرة المتنوعة .

تعد المجموعة القصصية " صاحبة الوحي وقصص أخرى ومجموعة" نماذج بشرية" للأديب الشهيد "أحمد رضا حوحو"، من أهم المجموعات القصصية التي ظهرت في عهد الاستعمار،وعالج من خلال قصصها الأوضاع الاجتماعية للفرد الجزائري،واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان،إضافة إلى أنه كان مدافعا عن المرأة الجزائرية والتي أخذت حيزا كبيرا في قصصه،فتطرق لواقعها البائس في المجتمع "[3] ،لدرجة أنّ الإهداء في روايته"غادة أم القرى"جاء فيه ":"إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب ..من نعمة العلم...من نعمة الحرية...إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى" ولذلك كان الأديب الجزائري أيام الثورة التحريرية، يشكل عبئا ثقيلا على الاستعمار.لأنه ينير الدرب،ويرسم للأجيال طريق الخلاص.

وللسخرية حظ كبير في كتابات "رضا حوحو"وقد وظفها بشكل واضح في معظم كتاباته،حيث يقول" أبو القاسم سعد الله:":"لجأ"حوحو" إلى فن السخرية في قصصه حتى صارت ظاهرة شائعة في جميع آثاره،حتى الجاد منها، يلجأ إليها للتعبير عن خلجات نفسه،وآرائه في شؤون الحياة "[4]. لذلك انتقى لها الألفاظ المناسبة ،وحرص على اصطياد المفارقات المضحكة،في الأحداث أو الشخصيات، بحيث كان للهزل فيها نصيب وافر.وللسخرية دور فني هام عند "حوحو"،فعدا المتعة الفنية التي تشيعها في النص،فإنها تقوم

[1] --نبيلة إبراهيم:فن القص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب للطباعة والنشر،القاهرة،1999، ص210

[2] - المرجع نفسه،ص215.

[3] - أحمد دوغان المرجع السابق،ص320.

[4] - أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث،ط2،دار الآداب،بيروت،1977،ص93.

بانتقاد الأوضاع الاجتماعية،والتقاليد البالية،وذلك ما يظهر جليا في قصته"فتاة أحلامي" التي يركز من خلالها على ضغط المجتمع وتأثير التربية والبيئة في الفرد، فبطل القصة شاب يدرس في الجامعة ،ولم يكن يختلط بالفتيات مثل زملائه،ولكنه كان يعود كما خرج،دون أن يلتقي بفتاة تحادثه،وذات يوم ذهب إلى السينما،فإذا به بعد أن انطفأت الأنوار يجد إلى جانبه فتاة رشيقة ،تحاول أن تقترب منه، لكنه كان ينفر منها.ويصور لنا الكاتب الموقف بقوله:"وما كدت أجلس على المقعد الذي يحمل رقم بطاقتي،حتى أحسست بفتاة تتقدم برشاقة وتحتل المقعد المجاور وبدت لي رشيقة القد،ولكن لم أتمكن من رؤية وجهها"[1]. وفي النهاية يجد أن هذه الفتاة هي العانس"بولوني" التي تبيع الحلوى داخل الجامعة،فيضحك من نفسه لهذه المفارقة الغريبة.

القصة تصور الشخصية السلبية التي أثرت فيها التربية المتزمتة، والتقاليد القديمة البالية،لدرجة أنه يخشى لمس "المتكأ" بينهما عندما جلسا جنبا إلى جنب،فيسارع إلى الاعتذار لأنه وضع يده على يدها خطا، وأحس في جسمه باهتزاز واضطراب،وهذا بسبب التقاليد التي كانت تضغط عليه.ولو أنه كان قادرا على النظر إليه،ولم تقف التقاليد بينه وبينها،لما حدثت له المفاجأة في الأخير،فقد سار معها مسافة طويلة دون أن يتطلع إليها،حتى دخلت معه الجامعة،وعندئذ التفت ليجدها العانس التي تسكن معهم المكان،فسخرت منه قائلة:"سأمنحك غدا قطعة شيكولاتة"[2]،والسخرية هنا ليست في أنه سيمنح قطعة حلوى،وإنما لأنه سيأخذها من عانس بالذات،وهنا تكون السخرية أشد وأكثر تأثيرا، والمفارقة تكمن أيضا في أن هذه العانس"بولوني" أجنبية،فلو كانت عربية لما تحدث معها أصلا.أما في قصة"الشيخ "رزوق" لأحمد رضا حوحو،فإن السخرية تظهر من خلال المفارقة بين الملامح الخارجية لبطل القصة ،وبين أعماله التي يقوم بها في الخفاء، فبينما توحي هيئته،وملابسه ،بالورع والتقوى،والتضحية بواجباته نحو أسرته،من أجل خدمة الصالح العام،فإنه يقوم في الخفاء بأعمال مخجلة.

فهذا الشيخ المتدين، الذي يتظاهر بالدين فيلبس العمامة، ويعلق المسبحة،ليخدع الناس،بل يخدع حتى زوجته الساذجة التي أشفقت عليه حتى من العمل المتواصل،وذلك في هذا الحوار الذي دار بينه وبين زوجته:"ما هذا ألا تستطيع حتى أن تتناول طعام إفطارك في راحة...دائما أعمال الناس؟ لا أدري أية فائدة

[1] أحمد رضا حوحو:"صاحبة الوحي وقصص أخرى"، مجموعة قصصية،ط ،المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة،1954 ،ص34.
[2] – المرجع نفسه،ص37.

تجنيها من وراء هذه المتاعب كلها، أي شيء أستفيد من الناس؟..أتخالين زوجك مثل أولئك الغافلين الذين ألهتهم أوضار المادة الدنسة،عن أعمالهم الربانية،وشغلتهم بطونهم عن الآخرة؟ أنا أخدم الناس لوجه الله "[1].ويقصد "حوحو" إلى التهكم بهذه الفئة وبأعمالها،وتذكير العامة بشرورها.

وفي قصة "سيدي الحاج" تعم السخرية،إذ أصبح البعض يحج إلى البقاع المقدسة لا بنية الحج . ولكن بقصد التظاهر بلقب"حاج"، وتكون المفارقة أشد عندما يحج الجاهل على نفقة السلطات الاستعمارية،

وفي قصة"سيدي الحاج" رسم ساخر لشخصية حاج أمي،ذهب أثناء الحرب العالمية الثانية لتأدية فريضة الحج،على نفقة الإدارة الفرنسية، وكان همه شراء الهدايا،والتجول في الأسواق.والسخرية تظهر في جهله بأبسط مبادئ الدين الإسلامي، حتى أنه يبدأ وضوءه بغسل رجليه،وتكون السخرية أشد حين يلفت نظره الخادم،الذي يصب له الماء أثناء الوضوء،فيجيبه الحاج:"ماذا نعمل؟ هكذا علمنا سادتنا"[2].

والملاحظ أن إنتاج الأديب الشهيد"أحمد رضا حوحو"يسوده الطابع الاجتماعي،وعلى وجه الخصوص الإصلاح،وذلك لاهتمامه بقضايا مجتمعه،ولما سلكه من أسلوب السخرية،لفضح تلك السلوكيات المشينة في المجتمع.

ومن قصصه الساخرة أيضا قصة "ثري الحرب"التي يتحدث فيها عن شخص أمي يمارس التجارة،ثم أصبح ثريا من المضاربة في السوق السوداء،وأصبح له قوة وصيت عريضان، وانهالت عليه الأوسمة والوظائف التي كانت تشترى بالمال في عهد الاستعمار. "والقصة تنتقد الحرب من خلال هذا الشخص الذي لم يكن هدفه سوى الجاه والمال،لأن الحرب تغير من أخلاق الناس"[3] القصة تركز على شخصية "سي شعبان" بطل القصة، الذي تاجر و انخرط "في سلك هذه التجارة مدفوعا بوفرة الأرباح، والربح عنده حلال مشروع ،مادام مصدره التبادل التجاري ورضا الطرفين البائع والشاري"[4]

[1]- أحمد رضا حوحو:"نماذج بشرية" ط2،كتاب البعث رقم3،تونس 1955 ،ص11

[2]- المرجع نفسه،ص101.

[3]- عبد الله ركيبي:القصة الجزائرية القصيرة،ص141.

[4]-أحمد رضا حوحو: صاحبة الوحي وقصص أخرى،ص39

ويقدم لنا الكاتب بعد ذلك التغيير الذي طرأ على أخلاق بطل القصة، ويصور ذلك في سخرية بالغة ،لأن هذا الرجل أصبح يحمل لقب "سي" بعد أن كان مجردا من أي لقب، ولم يتغير في أخلاقه فحسب،بل تغير في مظهره أيضا،وذلك بسبب ثروته التي أصبحت تعد بالملايين.

2. التصوير الكاريكاتوري:

التصوير الكاريكاتوري،أو المبالغ فيه،هو وضع صورة مضحكة لشخصية معينة،"كالمبالغة في تصوير عضو من أعضاء الجسم،ومحاولة تشويهه إلى حد ما،بحيث يجعل الشخص لا يُعرف إلاّ بالعيب الذي فيه،ومن ذلك ضخامة الجسم أو نحافته،وقصر القامة أو طولها المفرط،وتصوير شذوذ في ملامح الوجه،أو في طريقة اللباس"[1]

ولا يكتفي التصوير الكاريكاتوري بالسخرية من الشذوذ الخَلقي، بل يتخذ من السلوك الخُلقي مادة خصبة له.

ومن القصص القصيرة التي وظف فيها الكاتب ا المفارقة عن طريق تقديم صورة كاريكاتورية لشخصياته،قصة"الشيخ ر''زوق" وقد سبق ذكر هذه القصة،حيث أن هذا الشيخ الذي يدّعي التدين، ويقوم في الخفاء بعكس ذلك، حيث يصفه الكاتب بقوله:"رجل في العقد السادس من عمره،ضخم الجثة،كثيف اللحية،أسمر اللون"[2]

وفي حوار مع زوجته نراه يتظاهر أمامها بأنه ليس من الذين ألهتهم المادة عن أعمالهم الربانية،وشغلتهم الدنيا عن أمور الناس،لكنه في الخفاء يقوم بأعمال مخزية،تسيء إلى رجل الدين.

ثم نراه في المسجد يذكر الله،وفي الوقت نفسه ،يعدّ النقود التي حصل عليها من خداعه للناس،واستغلاله لضعفهم وحاجتهم،وقد قدّم الكاتب لنا هذا المشهد ،في صورة كاريكاتورية رائعة،وذلك فيقوله:"وبقي الشيخ مسرورا يذكر الله ويوحده،ثم قام بعدّ نقوده مرة ثانية، وما كاد ينتهي حتى دوى في المسجد صوت

[1]- سها عبد الستار السطوحي:السخرية في الأدب العربي الحديث ،عبد العزيز البشري انموذجا،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2002 ،ص 110

[2]- أحمد رضا حوحو:نماذج بشرية،ص57.

آذان الظهر.فأسرع الشيخ في إخفاء تلك الرزمة من الأوراق في جيب محكم،وقام يستعد لصلاة الظهر وهو يتذكر ما بقي لديه من المعاملات،ويُقدر في نفس الوقت ما ستدر عليه من الأرباح"[1].

في هذه الصورة رسم ساخر "شبه كاريكاتوري" للمتاجرة بالدين، وهي ظاهرة انتشرت عقب الحرب العالمية الثانية.

وفي قصة "سيدي الحاج" ،رسم آخر ساخر لشخصية حاج أمي ذهب ،لتأدية فريضة الحج،ومن خلال الوصف الذي قدمه لنا الكاتب،نلمح المفارقة بين الجسم الضخم،والقامة الفارعة،للشخصية الرئيسية" الحاج"،وبين جهله بأبسط أمور دينه، كما تظهر المفارقة

أيضا بينه وبين مرافقه في الحج، الذي كان نحيف الجسم،وقدّم لنا الكاتب ذلك في صورة كاريكاتورية ساخرة ،وذلك في قوله: "كان منظرنا مضحكا،صاحبي بجثته الضخمة،وبعمامته الكبيرة، وقامته الفارعة ،وأنا بجانبه بلباسي الحجازي،وجسمي النحيل، ولذلك كنا عرضة لتنكيت المارة،ورواد السوق"[2].

ويواصل" رضا حوحو" تقديم صوره الكاريكاتورية الساخرة،حيث يبين لنا جهل هذا الحاج،بأبسط الأمور،وذلك في هذا الحوار مع مرافقه في الحج:"توجهنا لفورنا إلى المسجد،وانحنى علي صاحبي ونحن في طريقنا وسألني قائلا:. مولانا وهذه شحال(*) فيها؟

قلت: كم فيها ؟...في أي شيء؟.

قال: هذه الصلاة ،التي سنصليها الآن،كم عدد ركعاتها؟"[3]

والحوار هنا يساهم أيضا في رسم الشخصية، ويعبر عن سذاجتها وجهلها بأبسط أمور دينها ،في شكل شبه كاريكاتوري ساخر.

ويواصل "حوحو" تفننه في رسم هذه الشخصية الجاهلة،ويقدمه لنا في صورة كاريكاتورية أخرى،أكثر دقة، في موضع آخر من قصته،بعدما أصر هذا الحاج الساذج، حضور درس في النحو،حيث يقوم شاب بتعليم

---

[1]- المرجع نفسه،ص11

[2]- المرجع السابق،101.

* *كلمة دارجة جزائرية، تستعمل للسؤال عن الشيء، وتعني "كم".

[3]- المرجع السابق ،ص102.

الصبيان،وحين شاهد الشاب الحاج ،الذي تدل هيئته على أنّه رجل دين،اضطرب ،لكنه سرعان ما تبين له جهله،وذلك عندما يسأل "الحاج" الشاب قائلا:"يا شيخ وإذا كانت امرأة تقول: قامت زيدة؟" [1] فيضحك الشاب ويغرق في ضحكه.

فهذه الصورة القصصية رسمت لنا شخصية الحاج رسما كاريكاتوريا ساخرا، يعبر حقا عن هذه الشخصية الجاهلة .

ومن القصص القصيرة التي صوّر فيها الكاتب وضع المعلم في مجتمع لا يقدر العلم والعلماء،قصة "سي زعرور"الذي قدّمه الكاتب لنا بقوله:"كان الشيخ"زعرور"أو" سي زعرور" كما يسميه زملاؤه،معلما بسيطا في مدرسة ابتدائية حرّة،قانعا بالحياة وبنصيبه منها"[2].عكس مديره الذي كان يتصف بالجشع وحب المال.

قدم الكاتب وصفا لمدير المدرسة الذي من سماته الجشع والطمع، وقد رسم له الكاتب رسما كاريكاتوريا يدل على صفاته الداخلية وذلك في قوله:" ذات يوم بينما "سي زعرور" – يقوم قبل موعد الدرس – بتسبيق درس لأحد التلاميذ إذ دخل المدير ببطنه المنتفخة وسمة الغضب تعلو وجهه"[3].

. ومن خلال هذه الصور الكاريكاتورية الساخرة ،ندرك أن الكاتب ،يعي مشاكل مجتمعه، ويقدمها في قالب ساخر، معتمدا أسلوب المفارقة،الذي كان التصوير الكاريكاتوري ،أحد آلياته، والأكيد أن هدف الكاتب من ذلك لم يكن التسلية أو الضحك،بل هدفه انتقاد مثل هذه الظواهر السلبية، والدعوة إلى تغييره.

خاتمة:

تعدّ المفارقة من الأنساق اللغوية التي شاع توظيفها في القصة القصيرة الجزائرية الحديثة بصفة عامة، ويبدو توظيفها بشكل واضح ومكثف في قصص: "نماذج بشرية "و" صاحبة الوحي وقصص أخرى " لأحمد رضا حوحو" ،هذا الأخير الذي يعدّ رائدا للقصة الجزائرية الحديثة،حاول من خلال قصصه تصوير التضاد والتناقض الموجود في المجتمع. حيث صوّر لنا هموم الفرد الجزائري ومعاناته في ظل الاستعمار

[1]-أحمد رضا حوحو:نماذج بشرية،ص104.

[2]-المرجع نفسه،ص61.

[3]- المرجع نفسه،ص ن.

الفرنسي،بأسلوب شيّق ساخر، ومن أهم الآليات التي اعتمدها الكاتب في مفارقاته: السخرية،والتصوير الكاريكاتوري.

وبذلك تكون المفارقة من المفاهيم الخصبة التي لاقت اهتماما من قبل المبدعين الجزائريين ،وهذا بسبب مقدرتها على المراوغة والمناقضة ،وتعدّد المعاني وتضادها إذ غالبا ما تكون البنية السطحية في المفارقة تناقض وتضاد البنية العميقة ،فإخفاء قصد المبدع خلف ستار الكلمات يكون هدفه إيصال المعنى بطريقة فنية تثير فطنة القارئ لاكتشاف المعنى الذي يقصده الكاتب.

وهذا ما لاحظناها في قصص حمد رضا حوحو، حيث قدّم لنا فيها نماذج لشخصيات من عمق المجتمع الجزائري ورصد فيها الكاتب المشاكل اليومية المختلفة التي تواجه الفرد الجزائري،وحاول معالجتها بأسلوب فني ساخر.

قائمة المراجع:

1- أحمد رضا حوحو:"نماذج بشرية" ط2،كتاب البعث رقم3،تونس 1955.

2-أحمد رضا حوحو:"صاحبة الوحي وقصص أخرى"، مجموعة قصصية،ط ،المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة،1954.

3- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث،ط2،دار الآداب،بيروت،1977.

4- حاج محجوب عرايبي:دراسات في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة،منشورات إبداع،ط 1،1991.

5- خالد سليمان :المفارقة والأدب –دراسات في النظرية والتطبيق –، دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان،د.ط،.1951

6- سها عبد الستار السطوحي:السخرية في الأدب العربي الحديث ،عبد العزيز البشري انموذجا،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2002.

7-شريبط أحمد شريبط:تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة،دار القصبة للنشر2009.

8- عبد الحليم حفني:أسلوب السخرية في القرآن الكريم،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987.

9- عبد الله ركيبي:تطور النثر الجزائري الحديث،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر.

10عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،11 .

11-عبد الملك مرتا ض:فنون النثر الأدبي في الجزائر(1931.1959)،ط1،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1983.

12- صالح خرفي: صفحات من الجزائر،ط1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1972.

13- نبيلة إبراهيم:(المفارقة) ،فصول ،العددان4/3،سبتمبر،، 1987 ،المجلد 07.

14-نبيلة إبراهيم:فن القص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب للطباعة والنشر،القاهرة،1999،-.

15– نجلاء حسن الوقاد:بناء المفارقة في فن المقامات،عند بديع الزمان الهمذاني والحريري-دراسة أسلوبية – مكتبة الآداب القاهرة،د ط،2006،.

16- نعمان عبد السميع متولي: المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم -دراسة تطبيقية-دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع،ط1 ،2014.

17– هيثم محمد جديتاوي:المفارقة في شعر أبي العلاء المعري(دراسة تحليلية في البنية والمغزى)،مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، دار اليازوري ،عمان ،الأردن،2012..